



وتمضي الأيام، ويهل علينا شهر رمضان المبارك الذي خصَّ الله سبحانه وتعالى بفضائل عديدة، وجعل له خصوصية يتفرد بها، فهو شهر القرآن والصوم والتكافل والتراحم، وتحقق فيه معاني وحدة الأمة.. وهو أيضاً شهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

يهل علينا رمضان والأمة الإسلامية تواجه أخطاراً وتحديات جمة، وتتعرض لمؤامرات كبرى، وهجمة شرسه من أعدائها؛ لتمزيقها والقضاء عليها.

وقد اقتنصت حكمة الله تعالى أن يظل الحق والباطل في صراع أبيدي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويكتب الله الغلبة للحق ما تمسك به أصحابه، ومن هنا فقد شرع الله سبحانه وتعالى شرعة الجهاد ليرد العدوان، ويزيل الباطل، ويحمي العقيدة، ويحقق السلام الذي يقوم على العدل والإحسان والصدق.

وقد حفظت الأمة الإسلامية انتصارات كبرى على طول الزمان وعرضه، ولم ترَ الدنيا في تاريخها معارك أشرف من معارك الإسلام ولا أسمى منها غاية، وقد خاضها رجال بواسل كانوا بحق جند الله تعالى، فكانوا رهبان الليل وفرسان النهار، فملؤوا الدنيا عدلاً ونوراً، وكان ذلك بعوامل النصر التي خطّها لهم ربهم في قرآن الكرييم، ونفذها رسول الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" وخلفاؤه وأصحابه من بعده، وصدق وعد الله لهم؛ **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلَفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ}**

كَمَا اسْتَحْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِنَهْمٍ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا} (النور:55)،

فكانوا خير أمة أخرجت للناس؛ يأمرن بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله.

ولقد خاض الرسول "صلى الله عليه وسلم" وأصحابه والأجيال المسلمة من بعده معارك شتى، بدءاً من يوم الفرقان في بدر، مروراً بخبيث، وفتح مكة، وتبوك، واليرموك، والقادسية، وفتح بيت المقدس ومصر وبلاد الأندلس، وامتداداً إلى عين جالوت وحطين، وكان انتصارهم في كل معركة يرجع إلى عنصرين اثنين؛

الأول: تأييد الله تعالى لجنته بنصره المبين تحقيقاً لقوله تعالى: {إِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} 173 (الصافات)، وتأكيداً للشرط والجواب في قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُتَبَّتِ أَفْدَامَكُمْ} 7 (محمد)،

والعنصر الثاني: الأسباب العسكرية البشرية، والتي تنترع إلى: عوامل معنوية ومادية، وقيادة مؤمنة، وحرب عادلة، وقبل ذلك التجرد وإخلاص النية لله تعالى.

فالعقيدة الراسخة وتوحيد الصدف والأخذ بالأسباب أهم عوامل النصر.

وقد يؤخر الله النصر؛ لأن الأمة لم تستكمل قوتها واستعدادها.

وقد يتأخر حتى تبذل الأمة آخر ما في وسعها من إمكانات وقوه؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعُتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (الأنفال:60).

وقد يتأخر لأن البيئة المسلمة لم تتهيأ بعد لإقامة العدل، والحق.

وقد يتأخر النصر لتعزز الأمة المسلمة صلتها بالله تعالى، فتعلم أنه لا ناصر إلا هو سبحانه.

وقد يتأخر لأن الأمة لم تتجرب بعد في جهادها لله ولدعوته، فهي تقاتل لهوى، أو لمغنم تحققه، أو لسمعة أو لنعمة جاهلية.

وقد يتأخر لأن الباطل الذي تحاربه الفئة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً، فلو انتصر المؤمنون؛ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين في زيفه، فيقاومون الحق وينصرون الباطل.

وحرى بنا ونحن نستقبل هذا الشهر الفضيل أن نستلهم روح النصر في رمضان، ونحقق مقوماته، حتى يعود مجد الأمة، وتتبواً مقعد الريادة من جديد.

فهل آن لهذه الأمة أن تعود إلى النبع الصافي الذي شرب منه آباؤها الأولون فعزّوا وسادوا؟

المصادر: